

كن مؤثراً





سلسلة كُن

٢١

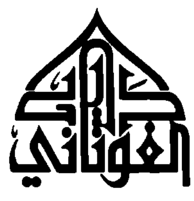
كُن مُؤْثِراً



إعداد
محمود سليمان

إشراف
عاطف عبد الرشيد

الموضوع : الآداب (القصص)
العنوان : كن مؤثراً
إعداد : محمود سليمان
عدد الصفحات : ١٦
قياس الصفحات : ١٤×٢٠





سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧
فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ +٩٦٣ هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ +٩٦٣
algwthani@scs-net.org

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإِيْثَارُ تفضيلُ الإنسانِ لغيرِهِ عَلَى نَفْسِه، فَيبذُلُ لَهُم مِنْ مَالِه وثِيَابِه وطَعامِه دُونَ أَنْ يَخْشَى الفقرَ أو النقصانَ، ويُكَافِئُ اللهُ أهلَهُ بالخيرِ الكثيرِ؛ قَالَ تَعالَى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر: ٩]. وقالَ سُبحَانَهُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وللإيثارِ فَضْلٌ كبيرٌ يَنْعمُ بِهِ الفَردُ والْمُجتمعُ، فالمُؤثِرُ يحظَى بِرضوانِ اللهِ تَعالَى وحبِّه لَهُ، وَعَلَى الجانِبِ الآخَرِ فإنَّ مُجتَمعَ الإيثَارِ تَشيعُ فِيهِ مَشَاعِرُ الحُبِّ والإخَاءِ والترابُطِ، فَلاَ تَجدُ فِيهِ جَائعًا ولا عُريانًا وَلا مُحْتاجًا.

قَالَ بَعضُ الصَّالِحينَ: مَا رَأيتُ أحَدًا خَرَجَ مِن الدُّنْيا كما دَخَلَ فِيها إلاَّ بِشْرَ بنَ الحَارِث، أَتَاهُ رَجُلٌ فِي مَرَضِهِ الَّذي تُوُفِّيَ فيه، فشكَا إليه الحَاجَةَ، فَنَزَعَ بِشْرٌ قَميصَهُ الَّذي كَانَ عَلَيْه، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ يكُنْ يملِكُ غَيرَهُ واستَعَارَ قَميصًا مَاتَ فِيهِ.

إنَّهُ خُلُقٌ مُحبَّبٌ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلَنْ يكتَمِلَ إيمانُكَ مَا لَمْ تَكُنْ مُؤثِرًا لإخْوانِكَ عَلَى نَفْسِكَ.

كُنْ مُؤثِرًا

الْمُسْلِمُ مِنْ خُلُقِه الإيْثَارُ؛ لِمَا لِذَلِكَ الخُلُقِ مِنْ فَضْلٍ كَبِيرٍ يَنَالُهُ الْمُؤْثِرُ ويَنْعَمُ بِهِ. وللإيثَارِ مَجَالاتٌ عَديدَةٌ نحثُّ الْمُسْلِمَ عَلَى أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا وَهِيَ: الإيثَارُ بِالمَالِ وبِالثِّيابِ وبِالطَّعامِ وبِالحَياةِ.

كُنْ مُؤثِرًا بالمَالِ

الإيثَارُ بِالمَالِ مِنْ أَشْهَرِ صُورِ الإيثَارِ جميعًا، فاللهُ عزَّ وجَلَّ رَغَّبَ فِي الإيثَارِ بِالْمَالِ وأَعَدَّ لأصْحَابِ هَذَا الخُلُقِ ثوابًا عَظِيمًا؛ قَالَ تَعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، ومنْ نَماذجِ الإيثارِ:

إيثارُ عُمرَ: كَان عُمَرُ بْنُ الخطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مِثالاً رائعًا فِي الإيْثَارِ بالمالِ؛ فقدْ كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعطِي عُمَرَ العَطَاءَ فيَقُولُ عُمَرُ: أعْطِه مَنْ هُوَ أفْقَرُ مِنِّي [متفق عليه].

إيْثَارُ عبدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُتْبَةَ مِنْ أكْثَرِ مَنِ اشْتُهِرَ بِخُلُق الإيْثَارِ بالمالِ، وقَدْ جزَاهُ اللهُ عَنْ ذَلكَ خيْرًا عَظِيمًا. يُرْوَى أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عُتْبَةَ بَاعَ أرْضًا بِثمانينَ ألفًا، فَقِيلَ

لَهُ: لَو اتّخذْتَ لِولَدِكَ مِنْ هَذَا المَالِ ذُخرًا؟ قَالَ: بَلْ أجْعَلُهُ ذُخْـرًا لِي، وَأجْعَلُ اللهَ ذُخْـرًا لِوَلَدِي. ثُمَ قَسَّـمهُ عَلَى ذَوِي الحَاجَاتِ مُؤثِرًا إيَّاهُم عَلَى نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ.

إيثار عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ: لقَدْ تَعلَّمت السّيدةُ عَائشةُ خُلُقَ الإيثارِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَدْ أرَادَتْ نعيمَ الآخِرَةِ فَهُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى؛ رُوِي أَنَّ مُعَاوِيَة ـ رضِيَ اللهُ عنهُ ـ بعثَ لعَائشَةَ ـ رضي الله عنها ـ بِمَالٍ قَدْرُهُ مئَةٌ وثَمانُونَ ألفَ دِرْهَمٍ، فَرَاحَتْ تُقسِّمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلمَّا أمْسَتْ قَالَت لِجَارِيَتِها: هَلمِّي فَطُوري. فَجَاءتْها بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، وَقَالَتْ لَها: مَا اسْتَطعْتِ فِيمَا قَسَّمْت اليَومَ أَنْ تَشتَرِي لَنا بِدِرِهَمٍ لَحْمًا نفطِر عَلَيهِ؟ فَقَالتْ لَها: لَوْ كُنتِ ذَكّرْتيني لَفعَلْتُ.

إيثَارُ سُفيانَ الثوريِّ: لَقَدْ أدْرَكَ سُفْيانُ الثَّورِيُّ قِيمَةَ الإيْثَارِ وجزاءَهُ فَلَزَمَ هَذَا الخُلُقَ واشْتَهَرَ بِهِ. وكَانَ سُفْيانُ الثَّورِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقُولُ لِلسائِلِ: مَرْحبًا بِمَنْ جَاءَ يَغْسِلُ ذُنُوبِي.

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُق الإيْثَارِ بِالمَالِ بِمَا يَلِي:**

١ـ المَالُ مَالُ اللهِ: عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُؤمِنَ بِأَنَّ مَا لَديهِ مِنْ مَالٍ إِنَّما هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وإِنَّمَا هُوَ مُستَخْلَفٌ فيهِ، وَحَقُّ اللهِ عَليهِ أَنْ يُنفِقَ مِنْ هَذَا المَالِ ابْتِغاءَ وجهِهِ تَعَالَى. يَقُولُ تَعَالَى:

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]. ويَقُولُ سُبحانَهُ: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦].

٢ ـ **الزُّهدُ فِي الدُّنيا**: إنَّ زُهْدَ المرءِ فِي الدُّنيا مِنْ أقْصَرِ الطُّرُقِ إِلَى التّخلُّقِ بالإيثَارِ والتّحلِّي بِهِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء: ٧٧]. وكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: "مَالِي وَمَا لِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنيا إلاّ كَراكِبٍ سَارَ فِي يَومٍ صَائِفٍ (شديدِ الحَرارَةِ)، فاسْتَظلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعةً ثُمَ رَاحَ وتَركَها" [الترمذِي].

٣ ـ **إيْثَارُ الفَقيرِ**: إنَّ خُلقَ الإيثَارِ لَيْسَ لِلغَنِيّ فَقَطْ، وإنَّمَا الفَقيرُ أيضًا مُطَالَبٌ بِهِ عَلَى قَدْرِ سعتِهِ (اسْتِطَاعَتِه)؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

٤ ـ **الإنْفَاقُ مِنْ أجْوَدِ مَا تَمْلِكُ**: مِمَّا يُساعِدُ عَلَى الإيْثَارِ أَنْ يُنفقَ المُسْلِمُ أجْوَدَ مَا عِنْدَه ولاَ يُنْفِقَ إلاَّ طيبًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

* **ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ الإيْثَارِ بِالمَالِ :**

١ـ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ : المُؤثِرُ بِمَالِه يُحبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَهَلْ هُناكَ دَرَجَةٌ أعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وأفْضَل؟ فأنْعِم بالإيثَارِ خُلُقًا؛ قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن الأشعريينَ، وَقَد اشْتُهِرُوا بِالإيْثَار: "هُمْ مِنّي، وَأَنَا مِنهُم" [مُتَّفقٌ عَلَيْه].

٢ ـ البَرَكَةُ وإِكْثَارُ القَلِيلِ : إِذَا آثَرَ الْمَرءُ أَخَاهُ بِالْمَالِ عَوَّضَهُ اللهُ تَعَالَى وبَارَكَ لَهُ فِي القَلِيلِ فيُصْبِحُ كَثِيرًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

٣ ـ حُسْنُ المآب : إِنَّ اللهَ عزّ وجلَّ يَجْزِي عَلَى الإِيثَارِ مَا لاَ يَجْزِي عَلَى ما سِواهُ، فَهُو عزَّ وجلَّ أعَدَّ لِلمؤثِرِ حُسْنَ المئابِ؛ يَقُولُ تعالَى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

كُنْ مُؤثِرًا بالثّيابِ

الإيْثَارُ بالثّيَابِ أَنْ تُعطِيَ أخَاكَ الْمُسْلِمَ ثَوبَكَ الْمُفضَّلَ عِنْدكَ مُقدِّمًا إِيَّاهُ عَلَى نَفْسِكَ.

إِيْثَارُ النَّبيِّ ﷺ : عَنْ سَهْلِ بنِ سَعدٍ أنّ امْرأةً جاءَت إِلَى النَّبيِّ ﷺ بِبُردَةٍ مَنسُوجةٍ، فقَالت: نَسجتُها بِيَدِي لأكْسُوكَها.

فَأخَذَها النّبيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إليها، فَخَرَجَ إلَيْنَا وَهِيَ إزارُهُ، فقَالَ فُلانٌ: اكْسُنِيهَا. مَا أحْسَنَها. فقَالَ الرَسُولُ ﷺ: "نَعَم".

فَجَلَسَ النّبيُّ فِي المجْلِسِ ثُمَ رَجعَ فَطواهَا، ثُمَّ أرْسَلَ إلَيه، فقَالَ لَهُ القَومُ: مَا أحْسَنْتَ. لَبسها النَّبيُّ مُحْتاجًا إليها، ثُمَ سَألْتَهُ، وَعَلمتَ أنَّهُ لا يَردُّ سَائلاً. فقَالَ الرَّجُلُ: إنِّي واللهِ مَا سألتُهُ لألْبسهَا، إنَّما سَألْتهُ لتكُونَ كفنِي.قَالَ سَهْلٌ: فَكانَتْ كَفَنَهُ [البخاري].

إيثارُ عَلِيٍّ بن أبِي طَالِب: عُرِف عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبِ بالإيثَارِ، فَقَدْ أتَاهُ رَجُلٌ يَشْكُو إليهِ الحَاجَةَ، فَأمَرَ لَهُ بِحُلّةٍ، فَأخَذَهَا الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ:

كَســوتَنِي حُلَّــةً تَبلَــى مَحاســِنُها

فَسوفَ أكسوكَ مِنْ حُسنِ الثّنا حُلَلاَ

لاتزهَــدِ الــدّهرَ فِــي خــيرٍ توفقُــهُ

فَكُلُّ عَبـدٍ سَـيُجزى بالّـذِي عَمِـلا

إيثَارُ بِشرِ الحَافي: مِنْ نَماذجِ الإيثارِ فِي الإسْلاَمِ بِشرٌ الحَافِي، فَمِمَّا يُرْوَى أنَّ بعضَ النَّاسِ دَخلُوا عَلَيهِ فِي يَومٍ شَدِيدِ البَرْدَ وَقَدْ تَجرَّدَ مِنْ ثِيابِهِ وَهُو يَنْتَفِضُ. قَالُوا: مَا هَذَا يَا أبَا

نَصْرٍ؟ قَالَ: ذَكَرتُ الفُقَراءَ وَبَرْدَهُم، ولَيْسَ لِي مَا أُوَاسِيهم بِهِ، فأَحْبَبْتُ أَنْ أُواسِيَهم فِي بَرْدِهِم.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ الإِيْثَارِ بالثِيابِ بِمَا يَلِي :

١ ـ طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ : لَقَدْ أمرنَا اللهُ تَعالَى بالإيثارِ، وحَثّنا رسُولُه الكَريمُ عليه، وَمِنْ ثَمَّ فَإنَّ فِي إِيثَارِ المَرءِ طَاعَةً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ؛ يَقُولُ سُبحانَهُ عنِ المُؤمنينَ: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢ ـ مُجاهَدَةُ النّفسِ : النّفسُ قَدْ تُغرِي الْمَرءَ بِعدمَ الإيْثَارِ ولِذَلِكَ وَجَبَ عَلَى المُسْلمِ أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ لِعَمَلِ الخَيرِ.

يَقُولُ تَعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٣ ـ التّشبّهُ بالمُؤثِرينَ : إذَا تَشبّهَ المَرءُ بِالمؤثِرينَ أَحَبَّ أَنْ يكُونَ مثلَهُم بَلْ إنَّهُ يُجمَعُ مَعَهُم يَومَ القِيامةِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "المَرءُ مَعَ مَنْ أحبَّ" [متفقٌ عليهِ].

* ثِمَارُ التمسُّكِ بِخُلُقِ الإِيثَارِ بالثِيابِ :

١- الثَّوابُ مِنَ اللهِ : يُكافِئُ اللهُ عَبْدَهُ الْمُؤثِرَ بِثِيَابِهِ جَزاءً وَفِيرًا وخيرًا عَظِيمًا؛ يُحكى أنَّ رَجُلاً حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، وأَهْلُهُ

يَجْلِسُونَ حَولَهُ، وكَانَ يُفِيقُ ويغيبُ ثُمَّ يُفيقُ، وَفِي غيبوبتِهِ سُمِعَ يَقُولُ: يَا لَيْتَهُ كَانَ جَدِيدًا، فَلمَّا أفَاقَ سُئِلَ: لِمَاذَا قُلْتَ: لَيْتَهُ كَانَ جَدِيدًا، فَقَالَ: أمَا وإنَّكُمْ قَدْ سَمعتُم، فإنِّي سَوفَ أحْكِي لَكُمْ مَا حَدَثَ: ذَاتَ يَومٍ جَاءَنِي رَجُلٌ فقيرٌ عليهِ ثيابٌ مُهَلْهَلَةٌ، لاَ تَكَادُ تَستُرُ إلاَّ بَعْضَ جَسَدِه، وَيَشْكُو أنَّهُ لَيْسَ لَدَيْهِ غَيْرُهُ، وكَانَ عِنْدِي آنَذَاكَ ثَوْبَانِ؛ ثَوْبٌ جَدِيدٌ، وثَوبٌ قَدِيمٌ، فأعْطَيْتُهُ الثّوبَ القَدِيمَ، واسْتَبْقَيْتُ لِنَفْسِي الثَّوبَ الجَدِيدَ، والآن عَلِمْتُ ثوابَ الثَّوبِ القَدِيمِ، فَعَلِمْتَ أنَّنِي لَوْ أعْطَيتُهُ الثّوبَ الجَدِيدَ لَكَانَ الثَّوابُ أكْبَر والأَجْرُ أعْظَم، فَقُلتُ: يَا لَيْتَهُ كَانَ جَدِيدًا.

- ورَحِمَ اللهُ أَنَسَ بنَ مَالِكٍ حِينَ قَالَ لِبَعْضِ تَلاَمِيذِهِ: إنَّكمُ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أدَقُّ فِي أعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعْهَدُهَا (نَظُنُّهَا) عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ مِنَ الْمُوبِقَات. [البخاري].

١ - **حُبُّ النَّاسِ ومَودَّتُهُمْ**: إنَّ الإيثَارَ بالثِّيَابِ يَنْشُرُ الْمَودَّةَ والْمَحبَّةَ بَينَ النَّاس؛ لأَنَّهُ مِنْ مَظَاهِرِ التَّكافُلِ بينَ المُسلمين، وَمِنْ دَواعِي الوَحْدَةِ بَيْنَهُم. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤمنينَ فِي تَوادِّهِم وتَراحُمِهِم كَمَثَلِ الجَسدِ الوَاحِدِ، إذَا اشتكَى مِنْهُ عُضوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ الجَسَدِ بالسَّهرِ والْحُمَّى" [متفق عليه].

كُنْ مُؤثِرًا بالطَّعامِ

إنَّ مِنْ صُورِ الإيْثَارِ وَأَعْظَمها عِنْدَ اللهِ قدرًا، أَنْ يُؤثِرَ المُسْلِمُ أَخَاهُ المُسْلِمَ بِطعامِهِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنْسَان: ٨ ـ ٩].

سَأَلَ رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ فقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أيُّ الإسْلامِ خيرٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف" [متفقٌ عليه]. وَعَنْ رَبِّ العِزَّةِ فِي الحَدِيثِ القُدسِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "يَا ابنَ آدمَ، اسْتَطعمتُكَ فلَمْ تُطْعِمْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ، وكَيفَ أُطْعِمُكَ وأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي، فَلَمْ تُطعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدتَ ذَلِكَ عِندِي؟"

*** كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ الإِيْثَارِ بِالطَّعامِ بِمَا يَلِي:**

١- **التّوكُّلُ عَلَى اللهِ**: إنَّ التّوكُّلَ عَلَى اللهِ يَجْعَلُ المُسْلِمَ لاَ يَخْشَى فَواتَ الرِّزقِ.. الأمْرُ الَّذي يَدْفَعُهُ إِلَى الإِيْثَارِ بِطَعامِه؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُم تَتَوكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوكُّلِه لَرَزَقَكُم كَمَا يرزُقُ الطَيرَ تَغدُو خِماصًا وَتَروحُ بِطانًا" [الترمذي].

٢ ـ مُصَاحَبَةُ المُؤثِرينَ والتَّشبُّهُ بِهِم: المُسْلِمُ يَجدُ الخيرَ فِي مُصادقَةِ المُؤثِرينَ ومُعَادَاةِ المُستأثِرينَ الأنانيينَ، فَالعَاقِلُ مَنْ يُصادِقُ الأخيَارَ ويَتَشبَّهُ بِهِم؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "المَرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلينظُرْ أحَدُكُم مَنْ يخالِلُ" [أحمد والطبراني].

* ثِمَارُ التمسكِ بِخُلقِ الإِيثارِ بِالطَّعَامِ :

١- حُصُولُ البَرَكَةِ : إِذَا اتَّسَمَ المَرءُ بِالإيثَارِ بالطَّعامِ يجد اللهَ سُبحانَهُ وتَعَالَى قَدْ بَارَكَ لَهُ فِي ذَلِكَ الطَّعامِ؛ قَالَ النبيُّ ﷺ: "طَعَامُ الوَاحِدِ يكْفِي الاثنَينِ، وَطَعَامُ الاثنَينِ يكْفِي الأرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمانِيَةَ" [مُسلم].

٢- جَزاءُ المُفْلِحِينَ : يُثيبُ اللهُ تَعَالَى المُؤثِرينَ مِنْ عِبَادِهِ ثَوابًا عَظِيمًا ويُدخِلُهُمْ جنَّاتِهِ جَزَاءَ تَخلُّقِهِمْ بِالإيثَارِ؛ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وَيَقُولُ تَبَارَكَ وتَعَالَى عنْ أجْرِ المُؤثِرينَ بِالطَّعامِ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

* * *

كُنْ مُؤثِرًا بالحياةِ

الإيْثَارِ بِالحَياةِ هُوَ أعْظَمُ صورِ الإيثارِ، فَهُو أسْمى دَرَجَاتِ الإيْثارِ؛ حَيْثُ يُضَحِّي المرءُ بحيَاتِه فِداءً للآخَرِينَ.

وَقَدْ رُوِي أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ لأخيهِ المُسلِمِ يَوْمَ أُحُد: يا أَخِي خُذْ دِرْعِي، وكَانَتِ الدُّروعُ قَلِيلةً، فَأرَادَ أَنْ يُؤثِرَهُ بِدِرْعِهِ، فَقَالَ لَهُ: أريدُ مِنَ الشَّهادَةِ مِثْلَ الَّذِي تُرِيدُ، فَتَركَها هُوَ أيضًا.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُق الإيثَارِ بِمَا يَلِي:

١- مَتَاعُ الدُّنيا قَليل: إذَا أدْرَكَ المُسْلِمُ أَنَّ الآخِرَةَ خيرٌ وأبْقَى، وأَنَّ الدُّنْيا مَتاعُها قَليلٌ، فَإنَّهُ لَنْ يَتردَّدَ أَنْ يُؤْثِرَ إخوانَهُ بحياتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ [الكهف: ٤٥]. ويَقُولُ سُبحانَهُ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وَعَن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "مَا الدُّنيا فِي الآخِرَةَ إلاَّ مِثْل مَا يَجْعَلُ أحَدُكُم إصْبَعهُ فِي اليَمِّ (البَحْرِ) فَلْيَنْظُر بِمَ يَرْجعُ" [مُسلم].

٢ ـ الزُّهْدُ فِي الدُّنيا: إنَّ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيا طريقٌ إلَى أنْ يَتَخَلَّقَ المُسْلِمُ بإيْثَارِ إخْوانِهِ عَلَى نَفْسِهِ ولَوْ بِحيَاتِهِ.

* ثِمَارُ التمسُّكِ بِخُلُق الإيْثَارِ بِالحياةِ :

١- الحَياةُ الكَرِيمةُ : كُلما اتَّصَفَ الْمَرءُ بِالحرْصِ عَلَى المَوتِ كُلَّما أحْيَاهُ اللهُ عزَّ وَجلّ حَيَاةً طَيبةً كريمةً. وقدْ قِيلَ: احْرِصْ عَلَى الْمَوتِ تُوهَبْ لَكَ الحَيَاةُ.

٢- عَدَمُ نُقْصَانِ الأجَلِ: إنَّ الإيثَارَ بِالْحَيَاةِ لا يُنْقِصُ مِنَ الأجَلِ أو العُمْرِ شَيْئًا، فالعُمْرُ والأَجَلُ مُحدَّدانِ بِتَوقيتٍ مَعْلُومٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

٣- الجنَّةُ: لَيْسَ لِلمُؤثِرِ بِحَيَاتِهِ جزاءٌ إلاَّ الجنَّةَ طَالَمَا أنَّهُ يُؤثِرُ بِحيَاتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، ويُضَحِّي بِهَا إرضَاءً لِربِّهِ تَعالَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ويَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَقَابُ قَوسٍ مِنَ الجنَّةِ خيرٌ مِمّا تَطْلعُ عَليهِ الشَّمسُ أو تَغْرُبُ" [مُتفقٌ عليه].

لاَ تَكُنْ مُسْتَأثِرًا أنَانِيًا

الأَثَرةُ هيَ أَنْ يَخْتَصَّ الإنْسَانُ نَفْسَهُ أَوْ أَتْبَاعَهُ بِالمنافعِ مِنْ أمْوَالٍ ومَصَالِحَ دُنْيَوِيَّةٍ، ويَسْتَأثِرُ بِذَلِكَ، فَيَحجبُهُ عَمَّن لَهُ فِيهِ نَصيبٌ أَو مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ.

أَثَرَةٌ بَعدَ الرَّسُول : عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ: "إنَّكُم سَتَرون بَعْدِي أَثْرةً وأُمُورًا تُنكرونَها". قَالُواْ: فَمَا تَأمُرنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "أدُّوا إِليهِمْ حَقَّهم، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُم" [البخاري].

أكْلٌ بِلاَ شِبَع : إنَّ المُسْتَأثِرَ كَالذي يَأكُلُ ولا يَشْبَعُ، فَقَدْ نَزَع اللهُ البَرَكَةَ مِنْ أمْرِهِ كُلِّه؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِطِيبِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيه، وَمَنْ أَخَذَهُ بإشْرافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيه، وكَانَ كَالَّذِي يأكُلُ وَلاَ يَشبَعُ، واليدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى" [مُسلم].

* * *

اِعْرِفْ نَفْسَكَ.. هلْ أنتَ مؤْثِرٌ؟

نُقَدِّمُ إليكَ أخي المُسْلِم هَذِهِ الأَسْئِلَةَ؛ لِتُحدِّدِ منْ خلالَ إجَابتكِ الصَّادِقَة عنْها، بَيْنكَ وَبيْنَ نَفْسك مَدَى تَحليِّكَ بخُلقِ الإيثَارِ؛ فَهيَّا مَعًا نَعْرِفْ أنْفُسَنَا:

١- هَلْ تَثِقُ بِأنَّ مَا لَديكَ مِنْ مالٍ هو مِنَ اللهِ وأنَّكَ مُسْتَخْلَفٌ فيه؟

٢- هَلْ تَعْلمُ أنَّ لِلهِ حَقًّا فِي مَالكَ؟

٣- هَلْ تُنفِقُ مِنْ مَالِكَ دُونَ أنْ تخشَى الفَقْرَ؟

٤- هَلْ مَنَحْتَ مِنْ قَبْلُ سَائِلاً ثِيابًا كُنتَ تَتَزيَّنُ بارْتدائِها؟

٥- هَلْ تَرْضَى أنْ تَنَامَ شَبْعَان وجَارٌ لكَ جَوعَانُ؟

٦- هَلْ تَثِقُ بِأنَّ مَتَاعَ الدُّنيا قَليلٌ؟

٧- هَلْ أنْتَ مِمَّن يَزْهَدُ فِي الدُّنيا؟

٨- هَلْ تَتَشبَّهُ بالمُؤثِرين وتَحرِصُ عَلَى مُصَاحَبَتِهِمْ؟

٩- إِذَا أنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ فَهَلْ تَشْعُرُ بِأنَّ اللهَ قَدْ بَارَكَ فِيما بقِي؟

١٠- هَلْ تُجاهِدُ نَفْسَكَ وتُعَلِّمُهَا خُلُقَ الإيْثَارِ؟

سلسلة كن

٨١٠٠٥٤